

قراءة ابن مسعود وأثرها في الآراء النحوية للفراء

بقلم

أ. أحمد الشايب عرباوي

قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب واللغات

جامعة الوادي



ملخص

حكم علماء القراءات على قراءة ابن مسعود بالشذوذ، فأهملت تلاوة وتعبداً، غير أن الأمر كان على النقيض مع النحاة الذين اعتنوا بالنوعين من القراءات: المتواترة منها والشاذة.

من هؤلاء النحاة أبو زكريا الفراء الذي كانت عنايته فائقة - في كتابه "معاني القرآن" - بقراءة عبد الله بن مسعود، فلم يستعن بها في توضيح المعاني فحسب بل أكد بواسطتها على جملة من الأحكام النحوية الشائعة، وكثيراً ما كان يدلل بها على صحة ما يذهب إليه من آراء في النحو واللغة.

Abstract

The scholars ruled that " Read of ibn-masood " was an abnormal read, so it was neglected. but the opposite was with the grammarians who nursed all kinds of the reads (frequent and abnormal).

Among them " Alfarrar " nursed highly the read of Ibn- masood in his book " the meaning of Koran ". he did not use it to explain the verses only, but he confirmed a number of provisions famous grammatical, and was often take it as a proof for his opinion in grammar and language.

مقدمة:

لم تكن العلاقة بين النحو العربي والقراءات القرآنية علاقة تأثير وتأثر إنما كانت علاقة أصل وفرع. فالقراءات القرآنية - بحكم أنها جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم - أصل ثابت من أصول النحو العربي.

ولقد اتخذ النحاة من هذه القراءات على مدى القرون الأربعة الأول معينا يستنبطون منه قواعد النحو ونظرياته، ولم تكن القراءات في عهود النحو الأولى، منقسمة إلى قراءات متواترة ومشهورة وشاذة، فعنايتهم بهذه الأنواع كانت على حد سواء، لا يختلف في ذلك البصريون والكوفيون إلا ما كان بعد هذا الطور¹ عندما استقل الكوفيون استقلالاً واضحاً عن البصريين وتميز المذهبان وصار لكل منهجه وقواعده وأتباعه

من نحاة هذه الحقبة الإمام أبو زكريا الفراء النحوي الكوفي² الذي خلف العديد من التصانيف أهمها كتابه "معاني القرآن" والذي تضمن آراءه واجتهاداته في النحو واللغة. في هذا الكتاب اعتنى الفراء بالقراءات القرآنية الشائعة في عهده دون تمييز، غير أن ما يلفت النظر هو عنايته الأكثر بقراءة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على الرغم من أنها صارت بعده - أي خلال القرن الرابع للهجرة - من القراءات الشاذة التي أهملها القراء.

فمن هو ابن مسعود رضي الله عنه؟ وما قراءته؟ ولم صنفوها في الشواذ؟ وما قيمتها في التفكير النحوي لدى أبي زكريا الفراء؟.

أولاً: عبد الله بن مسعود

هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب المخزومي، الإمام الخبر، فقيه الأمة، من السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة المهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها مع النبي ﷺ، ولي القضاء وبيت المال لعمر وصدراً من خلافة عثمان، توفي بالمدينة عام 32 هـ ودفن بالبقيع.³

لازم ابن مسعود النبي ﷺ في حله وترحاله، قال عنه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: "لقد رأيت رسول الله ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله".⁴

ولقد سأل الرسول ﷺ ابن مسعود يوماً أن يقرأ عليه القرآن، قال ابن مسعود فقلت: كيف أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «إني أشتهي أن أسمعه من غيري». قال: فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ فغمزني برجله فإذا عيناه تذرفان.⁵

هذه مكانة ابن مسعود من الرسول ﷺ. أعجب الرسول ﷺ بقراءته واشتهى أن

يسمع منه، بل إنه زكّاها بقوله: « من سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما نزل فليقرأه قراءة ابن أمّ عبد⁶ " يقصد قراءة ابن مسعود.

ثانياً: قراءة عبد الله بن مسعود

تصنف قراءة عبد الله بن مسعود في ما يعرف بالقراءات الشاذة، وهي القراءات التي لا حرج في إنكارها، لأنها ليست سنة متبعة كما لا يجوز التعبد بها.⁷ والغريب أن هذه القراءة حظيت بالقبول من لدن النبي ﷺ بل إن صاحبها يعد مجازاً شفويّاً من قِبَل الرسول ﷺ عندما قال في شأنها: « من سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً كما نزل فليقرأه قراءة ابن أمّ عبد». والسبب واضح في تصنيف هذه القراءة ضمن فئة القراءات الشاذة وهو أن هناك شروطاً محددة وضعها العلماء لقبول القراءة وهي:

- صحة السند عن رسول الله ﷺ.

- موافقتها العربية ولو بوجه من الوجوه.

- موافقة رسم المصحف العثماني ولو احتيالا.

فأياً قراءة اختل فيها أحد هذه الشروط وصفت بأنها ضعيفة أو شاذة أو باطلة.⁸ فالضعيفة ما لم توافق العربية في أي وجه من الوجوه، أما الباطلة فهي التي لم يصح سندها، بينما الشاذة تلك التي خالفت رسم المصحف.⁹ والمتأمل لقراءة عبد الله بن مسعود كما أشارت إلى ذلك بعض المصدر والمراجع يلمس مخالفتها الواضحة في الغالب لما هي عليه قراءة الجمهور، ولنمثّل لذلك بالآيات التالية:

- الآية: 40 من سورة المائدة:

قَرَأَهَا الْجُمُهورُ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقَرَأَهَا ابن مسعود: ﴿وَالسَّارِقُونَ وَالسَّارِقَاتُ فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمْ جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.¹⁰

- الآية: 25 من سورة هود:

قَرَأَهَا الْجُمُهورُ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، إِنَّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ وقَرَأَهَا ابن مسعود: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنَّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (زيادة) فقال يا قوم (11).

- الآية: 36 من سورة يوسف عليه السلام:

قَرَأَهَا الْجُمُهورُ ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ وَقَرَأَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ عَنَبًا ﴾¹².

- الآية: 23 من سورة (ص):

قَرَأَهَا الْجُمُهورُ ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ وَقَرَأَهَا ابْنُ مَسْعُودٍ ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي كَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً أَنْتَى وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾¹³.
والأمثلة على ذلك كثيرة.

ثالثاً: علاقة الفراء بقراءة ابن مسعود:

لم يكن أبو زكريا الفراء بدعاً من النحاة عندما اعتنى بهذه القراءة التي صنفت بعده في عداد القراءات الشاذة، فالنحاة لا يفرقون في تعاملهم مع القراءات بين المتواترة والشاذة، فالصنفان عندهم سواء، فقد يرفضون من الأولى ما يقبلونه من الثانية والعكس¹⁴.

لكن لماذا تعلق أبو زكريا الفراء بقراءة ابن مسعود خاصة ؟

قبل أن نجيب عن هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى أن موثلنا في الكشف عن هذه العلاقة هو كتاب " معاني القرآن " للفراء، ولم يعرف للفراء في ما أَلَفَ كتابُ تضمّن الكثرة الكاثرة من آرائه النحوية ككتابه " معاني القرآن ".

وإن المتصفح لكتاب " معاني القرآن " للفراء لتسترعيه تلك العناية البارزة لقراءة ابن مسعود في الكتاب، فلا يكاد يرح أبو زكريا الآية أو السورة إلا ويكون لهذه القراءة إشارة خفيفة أو ذكراً مفصلاً بحسب ما يقتضيه المقام، يوضح بها معنى من المعاني أو يدلل بها على صحة قراءة أخرى، أو يعلل بها بعض ما قالته العرب في كلامها، ويمكن الجزم بأن قراءة ابن مسعود تعد القراءة الشاذة التي تردد ذكرها في كتابه " معاني القرآن " أكثر من غيرها. فقد ذكرت في ما لا يقل عن عشرين وأربعمئة (420) موضع من الكتاب في حين ذكرت قراءة أُبَيٍّ في حوالي تسع وسبعين (79) موضعاً، وغير هذين قراءات شاذة أخرى.

فلم كل هذا الاهتمام بقراءة ابن أم عبد " عبد الله بن مسعود " ؟

يمكن أن نلمس لذلك عاملين بارزين: عامل جغرافي وعامل تاريخي.

فأما العامل الجغرافي فيظهر في شيوع هذه القراءة في الكوفة بلد الفراء فقد ينسب القراءة إلى عبد الله بن مسعود بقوله " وفي قراءة عبد الله " أو " في حرف عبد الله " أو ينسبها إلى من أسأهم " أصحاب عبد الله " وهم: حمزة¹⁵ والكسائي¹⁶ وخلف¹⁷، وكلهم قراء كوفيون، ولا يُنسَى مع هؤلاء " أبيّ بن كعب " وهو من القراء الذين شاعت قراءتهم في الكوفة لكن بدرجة أقل.¹⁸

أما العامل التاريخي ونقصد به الواقع الزمني الذي شاعت فيه هذه القراءات، إذ لم يُمَيِّز فيه بعد بين المتواترة والشاذة، بل إن مصطلح الشاذة لم يولد أصلاً، فقد كانوا يصفون الشاذة مرة بقراءة بعضهم ومرة بالقراءة القليلة وثالثة يخصصون بها قارئاً واحداً، وكل هذه الأوصاف لا تتعد عن معاني الندرة والتفرق والشذوذ.¹⁹ ولذلك فإن اعتماد ما صار يعرف بالشاذة كان مباحاً في ذلك العصر ولا فرق بين الشاذة وما سواها، فالعلماء يقبلون على هذه وعلى تلك على حدٍّ سواء²⁰.

رابعا: مظاهر اهتمام الفراء بقراءة ابن مسعود:

أمام هذا الاهتمام الملحوظ من قبل الفراء بقراءة ابن مسعود في كتابه " معاني القرآن " فإن أبا زكريا في علاقاته النحوية بهذه القراءة لا يخرج عن إحدى صور ثلاث هي:

- 1 - التوجيه النحوي لهذه القراءة والتعليل لما ذهب إليه ابن مسعود بما هو شائع عند النحاة، وهذا لا يفيضي بالضرورة إلى تبني هذه التعليلات.
- 2 - اعتماد تعليل أو تأويل معين للقراءة يتبناه أبو زكريا ويكون فيه موافقا لبعض من سبقه من النحاة.

- 3 - الإنفراد أو - على الأقل - التميز بتأويل خاص لما جاءت به القراءة، وعلى أساسه كانت لأبي زكريا جملة من الآراء النحوية التي أسهمت في إثراء النحو الكوفي خاصة والنحو العربي عامة.

وسنبسط القول في هذه الصور الثلاث فيما يلي:

أولاً: التوجيه النحوي العام:

- جاء في قوله تعالى: ﴿ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ

الحخير ﴿سورة (ص) الآية: 30، قرأها ابن مسعود بحذف الفعل (فقال) ومع ذلك فإن الفراء قد ذهب إلى أن جملة "إني أحببت حب الخير" جملة مقول القول بتقدير الفعل (قال) غير الوارد في القراءة لدلالة الكلام عليه.²¹

* جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمْ بِكُمْ عُمِّي﴾ البقرة 18 قرأها ابن مسعود بالنصب (صمًا بكما عميًا)، احتمل الفراء للقراءة بالنصب احتمالين:

إما النصب على الحال من الضمير (هم) أو النصب بالذم.²²

* أما قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ التوبة 112 قرأها ابن مسعود (التائبين العابدين الحامدين...)

علل الفراء لقراءة الجر هذه، بأنها نعت للمؤمنين الوارد ذكرهم في الآية السالفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ...﴾ ثم أردف قائلا:

"ويموز أن يكون (التائبين) في موضع نصب على المدح"²³

* قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ الأنفال 59 قرأها ابن مسعود: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾

يتخذ الفراء من قراءة عبد الله لهذه الآية حجة على غيرها من القراءات لأنها ألصق بكلام العرب، حيث يرى "أن" ضرورية في منصوب "حسب" التي هي من أخوات "ظن" فإذا لم تكن في الآية (أنهم) لم يستقم للظن ألا يقع على شيء، ثم يرد على من قال: أليس من كلام العرب عسيت أذهب، وأريد أقوم؟ فيقول: "لو فعل ذلك في" ظننت "إذا كان الفعل للمذكور أجزته... نحو: أظن أقوم وأظن قمت... ولا يجوز: أظن يقوم زيد ولا عسيت يقوم زيد...²⁴

ثانيا: تأويل القراءة بها ذهب إليه السابقون:

* قرأ ابن مسعود: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ) بالرفع، وهي عند غيره بالنصب: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ هود 72.

ذهب سيبويه إلى أن الرفع في قراءة ابن مسعود كان على حذف المبتدأ والتقدير (هو

شيخ²⁵ وتابعه في ذلك الفراء وآخرون²⁶.

* قرأ ابن مسعود: (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ) وهي عند غيره ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ الزخرف 76

جوز الفراء أن يكون (الظالمون) خبرا لضمير الفصل (هم)، قال: " ومن جعلها إسماً رفع. " ²⁷ وهو نفسه ما ذهب إليه سيويه عندما قال: " وقد جعل كثير من العرب " هو " وأخواتها في هذا الباب بمنزلة اسم مبتدأ وما بعده مبني عليه... " ²⁸

* قرأ ابن مسعود ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرَ فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ وقرأها غيره بالتنوين ﴿ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ البقرة 61.

يرى الفراء أن الأصل في (مصر) وهي من أسماء البلدان لا تنصرف خفّت أو ثقلت، إلّا إذا أريد بها غير المصر التي تعرف، يريد اهبطوا مصرًا من الأمصار فإن الذي سألتكم لا يكون إلّا في القرى والأمصار، ثم بيدي موافقته على الوجه الأول لأن به جاءت قراءة عبد الله ²⁹

وهذا الذي ذهب إليه سيويه عندما قرّر عدم صرف الاسم الأعجمي إذا كان على ثلاثة أحرف وإن كان خفيفاً ³⁰.

ثالثاً: إنفراده بتأويل خاص:

كانت قراءة عبد الله السبب المباشر في أن يكون للفراء رأيه الخاص في عدد من المسائل النحوية. فقد أجاز:

1 - أن تأتي الحال من النكرة الموصوفة وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ ﴾ البقرة 89

فـ " مصدّق " نعت للكتاب، يقول الفراء: " لونيصبته (أي مصدّق) على أن تجعل المصدّق فعلاً للكتاب لكان صواباً. " ³¹ ويستدلّ على ذلك بقراءة ابن مسعود: (ثُمَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ...) (بالنصب بدل الرفع) آل عمران 81

2 - أن تأتي الحال في الجملة الإسمية إذا كان المبتدأ اسم إشارة والخبر إسماً موصولاً، كما قرأ ابن مسعود: ﴿ قَالَ هَذَا مَا لَدَيَّ عِتِيدًا ﴾ (بالنصب بدل الرفع) ق 23

يقول: "ولو كان نصبا كان صوابا لأن (هذا) و (ما) معرفتان، فيقطع العتيد منهما³² يقصد النصب على الحال من (هذا).

3 - أن تكرر اللام الجارة كما جاء في قراءة عبد الله ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَلِلظَّالِمِينَ أَعْدَاءُ هُمْ عَدَاوًا أَلِيمًا﴾ (ب) وللظالمين "بدلا من" والظالمين ("الإنسان 31 حيث كررت اللام في (الظالمين) وفي (لهم)³³

واستدل على ذلك بما ورد في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

أقول لها إذا سألت طلاقاً إلام تسارعين إلى فراق³⁴

4 - دخول الواو في جواب (لما) كما جاء في قراءة عبد الله:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ وَجَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ (بإضافة الواو إلى الفعل "جعل") يوسف 70

يقول الفراء: "وربما أدخلت العرب في مثلها الواو وهي جواب على حالها...³⁵" واستشهد بقول امرئ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي قفاف عَقَقَلِ³⁶

5 - أن تزداد (ما) بعد (أي) الشرطية وما أضيفت إليه ففي قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ القصص 28

قرأها عبد الله: ﴿أَيُّ الْأَجَلَيْنِ مَا قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ يذكر الفراء على أن هذا أكثر كلام العرب من الأول³⁷، يقصد (أيها الأجلين قضيت) واستدل على ذلك بقول الشاعر:

وأيهما ما أتبعن فإني حريص على إثر الذي أنا تابع³⁸

6 - أن يرفع أو يجزم الفعل المضارع جوابا لطلب على أن يتضمن الفعل ضميرا يعود على اسم نكرة قبله مثل قولك: "علمني علما أنتفع به" يجوز في "أنتفع" الرفع والجزم، لذلك صواب - عند الفراء³⁹ - ما جاء في قراءة عبد الله: ﴿أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُنْ لَنَا عِيدًا﴾ ("تكن" بدلا من "تكون") المائدة 116

7 - إعمال "إذن" مسبوقه بالفاء⁴⁰ كما في قراءة عبد الله:

﴿فَإِذَنْ لَا يُؤْتُوا النَّاسَ ثَغِيرًا﴾ ("يُؤْتُوا" بدلاً من "يُؤْتُونَ") النساء 53.

هذه مختارات من الآراء النحوية للفراء التي كان لقراءة ابن مسعود فيها الأثر البين، يضاف إلى ذلك أن أبا زكريا تبنى جملة من المعاني والدلالات التي تضمنتها بعض الأساليب أو بعض الحروف بناء على قراءة عبد الله أيضاً.

من الأساليب:

• الترجي:

ويمكن أن تكون أداته عند الفراء "أن" بدلاً من "لعل" دليله في ذلك قراءة ابن مسعود ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِذَا جَاءَتْ أَتَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بدلاً من ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنعام 109.

ف"لا" عند الفراء زائدة و"أن" بمعنى "لعل" لأن العرب تقول: "ما أدري أنك صاحبا" أي لعلك صاحبها.⁴¹

• النفي:

وهو ما يمكن أن يفيد الاستفهام بـ "كيف" في قراءة عبد الله:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا ذِمَّةٌ﴾ (بزيادة "ولا ذمة" في هذه القراءة)

التوبة 7

فزيادة "ولا ذمة" في هذه القراءة صرفت غرض الاستفهام من التعجب إلى النفي، يقول الفراء: "فجاز دخول (لا) مع الواو لأن أول الكلمة جحد"⁴²

ومن الحروف التي تضمنت دلالات خاصة:

"حتى" بمعنى "إلى"⁴³ في قراءة عبد الله ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ بدلاً من ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الصافات 148

"الباء" بمعنى "على"⁴⁴ في قراءة عبد الله ﴿حَقِيقٌ بِأَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ بدلاً من ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ الأعراف 105

"على" بمعنى "اللام"⁴⁵ في قراءة عبد الله ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَىٰ عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ بدلاً من ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ الصافات 171.

يضاف إلى ذلك أن هناك أفعالا قد لا تتعدى بنفسها عند الفراء وإنما تتعدى بحروف جر كما جاء في قراءة ابن مسعود. من هذه الأفعال:

- الفعل "أتى" يمكن أن يتعدى بحرف الجر "الباء" ⁴⁶ كما قرأ ابن مسعود ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ بدلا من ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ بِالْفَاحِشَةِ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ النساء 15
- الفعل "بؤا" يمكن أن يتعدى بحرف الجر "اللام" ⁴⁷ كما قرأ ابن مسعود ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ بدلا من ﴿تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ آل عمران 121

- الفعل "رفع" يمكن أن يتعدى بحرف الجر "الباء" ⁴⁸ كما قرأ ابن مسعود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاطَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ بدلا من ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاطَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ الحجرات 2.

الخاتمة

هذه مختارات ومقتطفات من تلك الآثار التي كانت لقراءة عبد الله بن مسعود على التحليل النحوي واللغوي لدى أبي زكريا الفراء كما سجلها في كتابه "معاني القرآن"، وعليه يمكن أن نخلص إلى الآتي:

- 1 - قراءة عبد الله بن مسعود من القراءات الشاذة، وشذوذها عند علماء القراءات لم يحط من قيمتها العلمية عند علماء النحو واللغة، فالفراء يتعامل مع هذه القراءة أو بالأحرى مع صاحبها تعامله مع فصحاء العرب فكلامهم عنده حجة في أصل اللغة، فكذلك ما جاء في قراءة عبد الله مخالفا لما عليه الجمهور، يعد أصلا من أصول اللغة.
- 2 - عناية الفراء البارزة بهذه القراءة جاءت من احتضان الكوفة لبواكير القراءات ولموقع هذه المدينة المتميز بين الحواضر العربية في ذلك العصر.
- 3 - لقد أسهمت هذه القراءة ومن ورائها الفراء في إثراء النحو الكوفي وترسيخ منهجه، خصوصا إذا وضعنا في الاعتبار أن المدرسة الكوفية في النحو لم يتم تشكيلها إلا بالفراء وبآرائه ومقاييسه، مما يجعله الإمام الحقيقي لهذه المدرسة ⁴⁹.

الهوامش

- 1 - ساء الشيخ محمد الطنطاوي " طور النشوء والنمو " ويمثل مبدأ الاشتراك بين البلدين في النهوض بعلم النحو والمنافسة في الظفر بشرفه، ويتحدد في الطبقة الثالثة من البصريين والأولى من الكوفيين إلى طبقتين بعد ذلك من كل من البلدين . ينظر: الشيخ محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، ط3، 2005، ص 40
- 2 - هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء النحوي الكوفي، اختلف منذ نشأته إلى حلقات القراءة والمحدثين والمفسرين كما درس اللغة والنحو على يد أبي جعفر الرؤاسي والكسائي من الكوفة ويونس بن حبيب من البصرة، كما اتصل بالخليفة العباسي المأمون، ولقي منه كل عون على التصنيف والتأليف، يصنف الفراء في الطبقة الثالثة من الكوفيين، من أشهر كتبه: معاني القرآن، المقصور والممدود، الأيام والليالي، المذكر والمؤنث ... توفي سنة 207هـ.
- 3 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت ط9، 1413، 1/ 461
- 4 - ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت (د.ت) ج3، ص 150
- 5 - الذهبي، سير أعلام النبلاء ج1، ص 480
- 6 - المصدر نفسه ج1، 475
- 7 - محمد الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، المطبعة الجديدة، دمشق، 1976، ص 81
- 8 - ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص 9
- 9 - محمود أحمد نحلة، أصول النحو العربي، دار المعرفة الجامعية، 2002 ص 40
- 10 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عهاد البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د.ت) 6 / 147
- 11 - محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 34
- 12 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 155
- 13 - المصدر نفسه، ج 15، ص 140
- 14 - شعبان صلاح . موقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع للهجرة، دار غريب، القاهرة 2005، ص 110
- 15 - هو أبو حمزة حمزة بن حبيب الزيات الكوفي أحد القراء السبعة، قرأ القرآن على الأعمش وطلحة وجعفر الصادق وغيرهم، كان إماما حجة حافظا للحديث بصيرا بالفرائض والعربية توفي سنة 156 هـ ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1404، ج1، ص 111 وما بعدها .
- 16 - هو أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي المقرئ النحوي، أحد الأعلام، قرأ القرآن على حمزة وعيسى بن عمر، ثم أخذ العربية عن الخليل، توفي سنة 189، ينظر: محمد الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص 120 وما بعدها .
- 17 - هو أبو محمد خلف بن هشام المقرئ أحد الأعلام، وله اختيار في القراءة خالف فيه حمزة، كان عالما عابدا توفي سنة 229 هـ ينظر: محمد الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج1، ص 208 وما بعدها .

- 18 - شعبان صلاح، مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى القرن 4هـ، ص 174
- 19 - محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 80، 81
- 20 - المرجع نفسه، ص 89
- 21 - الفراء، معاني القرآن ج2، ص 405
- 22 - المصدر نفسه ج 1 ص 16
- 23 - نفسه، ج1، ص 453
- 24 - الفراء، معاني القرآن 1 / 414
- 25 - سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2006، ج2، ص 83
- 26 - الفراء، المعاني، ج 3، ص 17، 82
- 27 - نفسه، ج3، ص 37
- 28 - سيبويه، الكتاب، ج2، ص 393
- 29 - معاني الفراء 1 / 43
- 30 - سيبويه، الكتاب، 3 / 242
- 31 - الفراء، معاني القرآن، ج 1، ص 55
- 32 - الفراء، المعاني ج3، ص 83
- 33 - نفسه ج 3، ص 221
- 34 - البيت مجهول القائل .
- 35 - الفراء، المعاني، ج2 ص50
- 36 - للبيت أكثر من رواية والتي سجلناها هي الواردة في معاني الفراء، في الجزء والصفحة المذكورين، وفيها:
الخبث: الأرض المطمئنة، القفاف، جمع قف وهو ما ارتفع من الأرض، العقتقل: الرمل المتعقد المتداخل
- 37 - الفراء، المعاني، ج 2، ص 305
- 38 - البيت من المجاهيل
- 39 - الفراء، المعاني، ج1، ص 325
- 40 - معاني الفراء 1 / 273
- 41 - المصدر نفسه ج 1، ص 350
- 42 - نفسه ج1 ص 423
- 43 - نفسه ج2، ص 392
- 44 - نفسه 1 / 386
- 45 - نفسه 2 / 395
- 46 - نفسه 1 / 258
- 47 - نفسه 1 / 233
- 48 - نفسه 3 / 69
- 49 - شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 158